وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

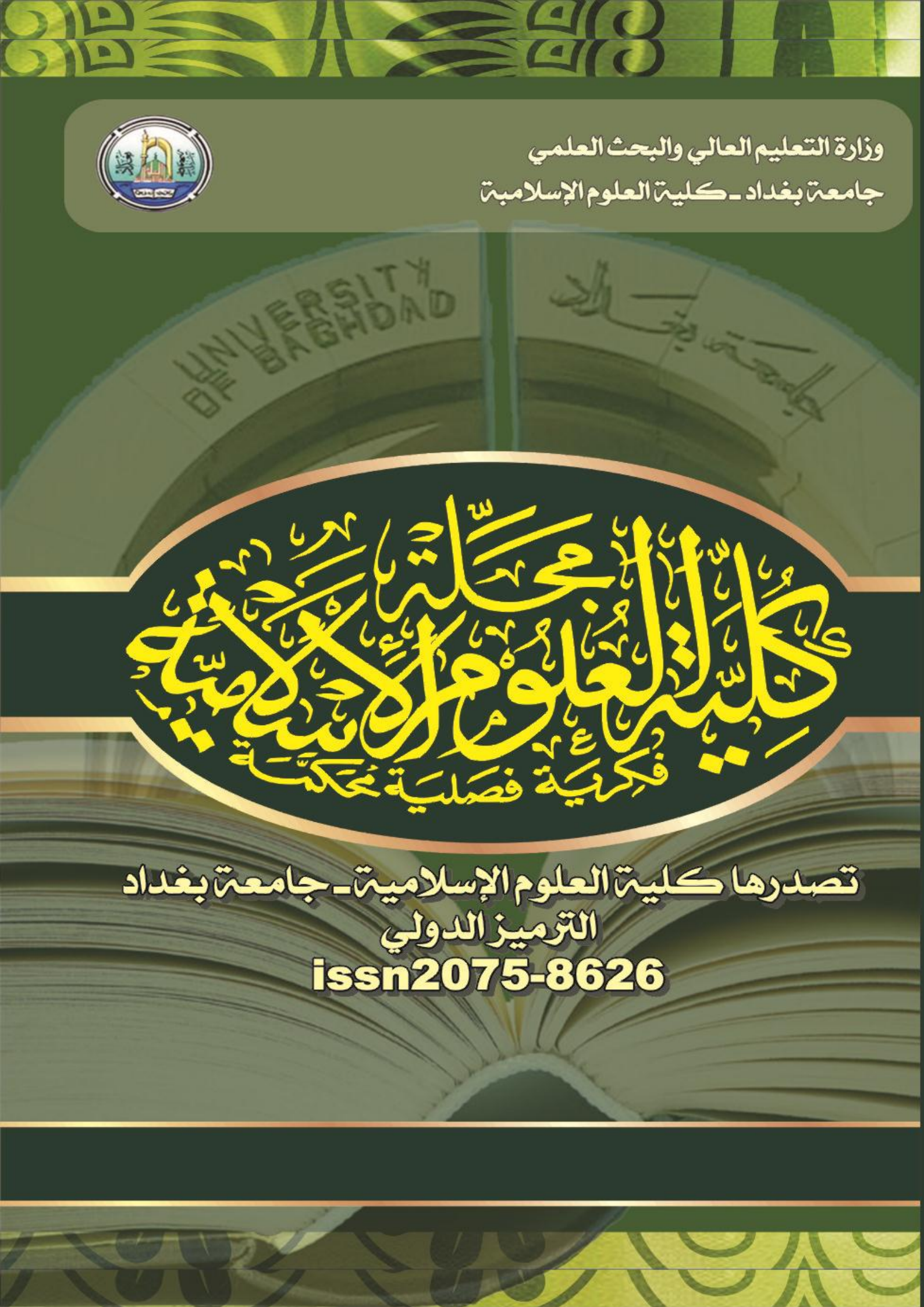

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية - فصلية - محكمة

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العـــــدد
(٤٣)
(الجـــزء الاول)
(١٦) ذي الحجة ١٤٣٦هـ - (٣٠) أيلول ٢٠١٥م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

(الجزء الاول)

❁ كلمة العدد ..... ص ﴿٨﴾

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
اسباب الهزيمة والضعف والهوان كما بينتها سورة آل عمران ـ دراسة موضوعية ـ	د. ماجد فيصل عبود	٩ـ٤٦
اليوم الآخر في القرآن الكريم والأناجيل الاربعة – دراسة مقارنة	أ.م.د عبد القادر عبد الحميد عبد اللطيف القيسي	٤٧ـ٨٤
باب احكام المعلومات من شرح معالم أصول الدين للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الخونجي دراسة وتحقيق	أ.م.د محسن قحطان حمدان م.د مهند صبحي حويش	٨٥ـ١٥٧
المعتزلـــــــــة وعلم الكلام قراءة معاصرة	أ .م. د. رعد شمس الدين الكيلاني	١٥٨ـ٢٠٢
تَأثِير تَنظِيم الأسْوَاقِ قَدِيمَاً وَحَدِيثَاً فِي كَرْبَلاَءِ الْمقَدَّسَة ـ دراسة تحليليّة ـ	الباحث: جعفر عمران محمد سعيد الطريحي	٢٠٣ـ٢٤٠
أَحْكَامُ التَرَفُّـهِ فِي أَداءِ الْعِبـــادَاتِ	الدكتور عمر شاكر الكبيسي	٢٤١ـ٣٠١
إنعقاد الإجماع عن القياس	د. سالم حسين تمر د. محمود علي داود	٣٠٢ـ٣٣١

حفظ العقل وتنميته دراسة مقاصدية في ضوء الأدعية المأثورة	الأستاذ المشارك الدكتور عبدالقادر بن ياسين بن ناصر الخطيب	٣٣٢-٣٩٣
اتجاهات الاغراض الشعرية نحو المديح (شعر دعبل الخزاعي إنموذجاً)	أ. م. د سندس محسن حميدي	٣٩٤-٤٢٠
العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجا)	د. ألطاف إسماعيل أحمد الشامي	٤٢١-٤٥٢
أخلاقية الاقتصاد الإسلامي في الملكية وقيودها	د.حاتم طه أحمد حسن المشهداني	٤٥٣-٤٨٦
علاج عجز الموازنة العامة في النظام الاقتصادي الإسلامي	د. فائز محمد جمعة الكبيسي	٤٨٧-٥١١
الوحي في الفكر الفلسفي الاسلامي	أ.م.د. ياسين خضير مجبل	٥١٢-٥٤٨

العوامل الحجاجية في شعر البردوني

(النفي أنموذجا)

د. ألطاف إسماعيل أحمد الشامي
أستاذ اللسانيات المساعد في مركز اللغات ـــ
جامعة تعز

(العوامل الحجاجية في شعر البردوني النفي أنموذجا)

ملخص البحث

ترتكز نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو على أن اللغة تعد حجاجا، وأن الحجاج توجيه صرف، تفضحه البنية اللغوية المجردة، وأن تصريف المتكلم لملفوظه يتم عبر عوامل وروابط حجاجية ؛ ولذلك تتجه هذه النظرية إلى إبراز دور الوظيفة الحجاجية للغة على أساس أنه ما من ملفوظ إلا وهو موجه نحو نتيجة معينة. فالجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات أو صيغ تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول يضاف إلى محتواها الإخباري، وتوجيه المتلقي هذا الاتجاه أو ذاك.

وتعد العوامل الحجاجية إحدى هذه المورفيمات والمكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية للغة، إذ إنها توجه الملفوظ نحو نتيجة واحدة، وتحقق غاية المتكلم وهدفه في إقناع المتلقي وتسليمه بأطروحاته. ولأهمية العوامل الحجاجية في تجلية الخطاب ووضوح مقاصده اتجه هذا البحث إلى إبراز دورها في إقناع المتلقي وتحقيق مقاصد البردوني وغاياته من خلال تسليط الضوء على دور عامل النفي الشائع في شعره في تحقيق ذلك، وإبراز المظاهر الحجاجية التي اكتسبها الملفوظ بدخول عامل النفي عليه، وذلك بتجلية الكيفية التي حقق بها البردوني مقاصده وغايته باستعماله عامل النفي بأنواعه الثلاثة التي أوردها ديكرو في نظريته.

وقد توصلت الباحثة إلى أن عامل النفي في شعر البردوني قد أدى وظيفته الحجاجية المتمثلة في إقناع المتلقي وتسليمه بالقضية المطروحة، أو بتوجيهه وحمله على الرفض والثورة على الواقع والإتيان بأفعال جديدة ، أو بالتأثير في مشاعره وأحاسيسه واستمالته إليه.

مقدمة :

تعد نظرية الحجاج في اللغة مقاربة بنيوية لمنطق الخطاب، إذ إنها تصف وتفسر البنيات والاستراتيجيات الحجاجية بنيويا ووظيفيا، وتتحقق تلك الاستراتيجيات عبر أدوات لسانية تتسم بطبيعة تفاعلية، وتوجه المتلقي نحو وجهة معينة في الخطاب.

ويعد ديكرو رائد هذه النظرية التي تقوم على أن اللغة حجاج محض، وأن الحجاج توجيه صرف، تفضحه البنية اللغوية المجردة، وتصريف المتكلم لملفوظه عبر عوامل حجاجية، ومواضع متواضع عليها بين المجموعة المستعملة للغة واحدة. وبناء على ذلك تتجه هذه النظرية إلى إبراز كيف أن البنية اللغوية هي التي يعود إليها سلطان الكلام الحجاجي، فمامن ملفوظ إلا وهو موجه نحو نتيجة معينة[١].

ويمر الحجاج عند ديكرو بثلاث مراحل فأن نحاجّ يعني أن نزاوج ونحسن التوليف والتأليف بين هذه المراحل والعناصر، وهي على التوالي[٢] :

١. معنى الملفوظ (مرحلة الاتجاه ونقطة الانطلاق).

٢. توجيهه (مرحلة التوجيه).

٢. قوته الحجاجية (مرحلة النتيجة).

ويرى د. عزالدين الناجح يرى أن التوجيه يطال المراحل الثلاث منذ تحديد معنى الملفوظ إلى الإنجاز، وفي جميع هذه المراحل لانجد حضورا للمتخاطبين، فالحضور كله للغة وحدها[٣].

وتتأسس نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو على أن القيمة الحجاجية لقول ما ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل إن الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات

وتعابير أو صيغ تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول إضافة إلى محتواها الإخباري، وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك[٤].

وهذه المورفيمات والصيغ التي ذكرها ديكرو هي المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، وهي نوعان، أما النوع الأول فهو مايربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات العطف ، والشرط ، ... ويسميها روابط حجاجية، وأما النوع الثاني فهو مايكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل النفي والتأكيد والحصر وغيره، ويسميها عوامل حجاجية[٥].

وبعبارة أخرى يمكن القول إن الروابط الحجاجية تختص بالربط بين القضيتين البسيطتين؛ لتصبحا قضية كبرى، في حين أن العوامل تختص بالقضية الصغرى[٦].

وليست القيمة الحجاجية للعوامل نتيجة لمداها الإبلاغي، وإنما نتيجة لتقوية الحدث التوجيهي الذي تقوم به، إذ إنها "عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة، وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل"[٧].

ويعرّف العامل الحجاجي بأنه وحدة لغوية إذا تم إعمالها في ملفوظ معين، فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ. والتحويل الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه لايكون مستمدا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنما يستمد من وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة، فهو لايضيف مضمونا خبريا جديدا، وإنما غاية مايحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم؛ ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الاستراتيجية الحجاجية للمتلفظ[٨].

وللعوامل الحجاجية أثر بارز في الحجاج اللغوي، إذ تكمن وظيفتها الحجاجية في" تحديد التوجيه الحجاجي للجملة، وذلك بانتقائها صيغا محورية ملائمة للسلسلة الحجاجية"[٩] فهي توجه

الملفوظ نحو النتيجة، وذلك عبر قدح للمواضع الذي ينتج عنه القضاء على الاستلزمات التي لاتصلح، وتقوية الاستلزامات التي تصلح لإظهار النتيجة[١٠].

ويستخلص د.عز الدين الناجح وظائف العامل الحجاجي ـ في نطاق مايسمى بالحجاج التقني القائم على مبدأ القول بالتوجيه حين يدخل على الملفوظ ـ على النحو الآتي[١١]:

أولا : القضاء على تعدد الاستلزامات، وذلك بنقل المتقبل من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ، فيعمد العامل الحجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة، وذلك بالانتقال بالملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية.

ثانيا : قدح المواضع وتنشيطها ، فالموضع يكون هو العمدة في ارتباط ق١ أي المعطى بالنتيجة أي ق٢ ،كما أنه يعد العامل ضامنا من ضمانات تسلسل الخطاب، وعنصرا من عناصر تنسيقه.

ثالثا : تقوية التوجيه نحو النتيجة (ن) وذلك على صعيد مايسمى بالسلالم الحجاجية.

وفي ضوء ماتقدم يمكن القول إن العوامل الحجاجية تعد "عنصرا مساعدا لإظهار المنحى الحجاجي في اللغة، وأداة لتحقيق جل وظائفها"[١٢] وأبرز وظائفها ضمان التوجيه الحجاجي للملفوظ وتقويته، والحد من غموض الخطاب ومن تعدد نتائجه، وذلك بوضع المتلقي أمام نتيجة واحدة مقصودة، ومن ثم القضاء على كل استلزام لايعضد تلك النتيجة.

ولأهمية العوامل الحجاجية في تجلية الخطاب ووضوح مقاصده وغاياته اتجهت بعض الدراسات الحديثة المعنية بالحجاج إلى إبراز دورها في إقناع المتلقي وإذعانه، ويقتفي هذا البحث أثر تلك الدراسات لإبراز الحجاج التقني القائم على استعمال العوامل الحجاجية في شعر البردوني متمثلة في عامل النفي، هادفا من ذلك إلى تجلية دور هذا العامل الحجاجي في

تحقيق غايات البردوني ومقاصده، وإبراز المظاهر الحجاجية التي يكتسبها الملفوظ بدخول عامل النفي عليه، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١ـ مامفهوم النفي الحجاجي؟

٢. ماأنواع النفي الحجاجي في شعر البردوني؟ وكيف وجهه البردوني لتحقيق غاياته ومقاصده؟

٣ـ ماالنتائج والغايات التي حققها عامل النفي في شعر البردوني؟

عاملية النفي الحجاجية:

تعد أدوات النفي في العربية (لا ، ولن، ولم، وما، وليس) عوامل حجاجية يصدق عليها قول ديكرو بأنها مورفيمات توجه القول والمتلقي في آن واحد" إذ يحقق بها المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة(ن)"[١٣].

وقد خصص ديكرو في نظرية السلالم الحجاجية للنفي نصيب الأسد في تحديد وجهة الخطاب الحجاجية معتبرا إياه أدق العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السلم الحجاجي، منطلقا من مثالين طالما وقف عندهما وهما :

١. لم يقرأ زيد جميع روايات بلزاك.

٢ـ قرأ زيد بعض روايات بلزاك.

ويرى ديكرو أن المثال الأول موجه نحو نتيجة سالبة من صنف أن زيدا لايعرف بلزاك جيدا في حين أن المثال الثاني عكس ذلك، إذ إنه موجه نحو نتيجة إيجابية من صنف أن زيدا يعرف بلزاك[١٤].

إن عاملية النفي الحجاجية لايمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد المتكلم توجيه المتلقي إليها لذلك كان ديكرو في معرض حديثه عن النفي يركن دائما إلى رائز المفهوم، وهو لماذا قال المتكلم ماقال ؟ وذلك من أجل أن يحدد للملفوظ درجته الحقيقية من السلم الحجاجي، فتتحدد النتيجة التي يقصد المتكلم توجيه المتلقي إليها. فالنفي تلفظ على تلفظ أي أنه توجيه على توجيه، ولذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة (ن) بسرعة، ولايجد المتقبل حرجا أو كد ذهن في إدراك المفهوم، بل إن ديكرو يرى أن هناك قيمة إضافية للنفي، فهو ضروري لوصف البنية الدلالية العميقة للملفوظ الذي يبدو غير منفي[١٥].

وإذا كان النفي في عُرف المناطقة هو العامل الذي يحول القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة، والخاطئة إلى صحيحة، فإنه في الدرس اللغوي غير بعيد عن معناه ووظيفته عن الدرس المنطقي، إذ يعرّف ابن يعيش النفي بأنه إكذاب، فيقول : " اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لافرق بينهما إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب"[١٦]. وفي الإكذاب توجيه للملفوظ وللمتقبل نحو النتيجة المقصودة.

وبما أن علماء اللغة يرون أن الإثبات أسبق من النفي، وأن إحالة النفي على الإثبات إحالة نظامية ، فإن ذلك يكفي لأن ينفي متكلم شيئا ما حتى نستدل بنفيه على وجود خبر مثبت شكل النفي ردا عليه. وبما أن هناك كلام مثبت ومنفي، فيعني ذلك وجود متكلمين ليس بالضرورة أن يكونا شخصين مختلفين ، بل يعني وجود كلامين مسندين إلى متكلمين في عمليتي قول مختلفتين مع إمكان أن يكون المتكلم الأول هو نفسه المتكلم الثاني، أي أن الكلامين ينجزهما متكلم واحد[١٧].

ولذلك يعد "النفي من الأبنية القولية التي تسمح بإدخال متحدث آخر في النص ذاته بشكل غير مباشر؛ لكي تعمد بعد ذلك إلى رفضه أو تأييده، إذ يتضمن مقولة الإثبات، ويشير إليها أيضا، فعندما نقول : أحمد ليس صغيرا، يعني أنه كبير وناضج، فالمقولة السابقة تتضمن مقولة

عكسية أيضا، ومعنى هذا أن النفي يدل على تعدد الأصوات، إذ يسمح للمتكلم بالتعبير المتزامن عن الصوتين المتقابلين، الصوت الذي يتبنى جانب الإثبات، وصوت المتكلم المتبني للنفي، فالنفي يشير إلى إثبات ضمني، ويرد عليه، مما يجعله تجليا واضحا لتعدد الأصوات في الخطاب "[١٨].فجل الأقوال المنفية تبرز عملية قولها على أنها صدام بين موقفين متعاندين أحدهما موجب مسند إلى قائل ل١ والآخر الذي هو إنكار للأول مسند إلى ل٢، أي أن القول المنفي يلمح إلى خبر إثباتي حاصل في الواقع أو مفترض مسند إلى شخص مختلف عن المتكلم[١٩].

ويرى د. شكري المبخوت أن"اقتضاء النفي للإثبات واستلزامه لجواب عنه مثبت هو الذي يجعل من النفي تركيبا أساسيا أثرى من الإثبات وأثرى تعقيدا، وهذا أيضا هو الذي يرشح النفي لأداء وظائف خطابية أساسية في المحاجة باعتبارها احتمالات في الربط النصي والتعبير عن تعارض الاعتقادات دون البت من خلال الإحالة الخارجية في صدق القول أو كذبه"[٢٠]. فالمتكلم النافي حين يعمد إلى نفي قضية ما فهو يعبر عن اعتقاده تجاه هذه القضية، ويقصد إلى أن يدرك المخاطب أنه لايعتقد في مضمون الكلام، ومما لاشك فيه أن هناك أسبابا ودواعي تجعل المتكلم يعتقد اعتقادا ما في قضية معينة، ومن ثم فإن قيمة النفي تكمن في أن المتكلم لايصرح بهذه الأسباب والدواعي شأنه في ذلك شأن الإثبات[٢١].

وقد يرمي المتكلم النافي إلى أن يتخلى المخاطب عن اعتقاده الشخصي في مضمون الكلام، ولذلك يرى د المبخوت أن الوظيفة الأساسية للنفي هي التشكيك، أي أن " النفي يشكك في مطابقة مضمونه للواقع، وهذا المضمون منسوب إلى شخص آخر غير المتكلم، وهذا التشكيك يفضي إلى التكذيب إذا سلمنا بأن التكذيب يتسلط على العلاقة بين الكلام والكون"[٢٢].

ومما سبق نستخلص أن القول المنفي يعد مواجهة حوارية بين عمليتي قول ضمنية أو صريحة، يرد به المتكلم قولا إثباتيا صريحا أو ضمنيا. ولهذا ألح ديكرو على الطابع الحواري

المتعدد الأصوات للقول المنفي" فكل قول له الصورة (لا- ق) يمثل عملين قوليين، أحدهما : إثبات صادر عن قائل أول، والثاني: رد ودحض لهذا الإثبات عن قائل ثان، كما ألح ديكرو على طابع المواجهة بين القائلين بمايخلع على النفي صيغة حادة"[٢٣].

وهذا المنطلق الحواري مهد لديكرو إيجاد تصنيف ثلاثي للنفي، وهذا التصنيف سنعتمده في تحليل النفي الذي يعد من العوامل الحجاجية البارزة في شعر البردوني، إذ صنف ديكرو النفي إلى:

١- النفي الميتالغوي: وهو نفي يناقض اللفظ نفسه الذي أخرج به كلام فعلي قد قيل، فهو قول منفي يهاجم متكلما قال المقابل الموجب، ولهذا النفي خاصيتان، أولاهما : أنه نفي يبطل المقتضيات، ويلغيها كقول القائل ردا على من قال : كف زيد عن التدخين، بقوله : لم يكف زيد عن التدخين، فهو في الواقع لم يدخن ألبتة طيلة حياته، وثانيهما : أن له قيمة إعلاء الصفة في مثل قولك: ليس زيد ذكيا،إنه عبقري[٢٤]. ونجد هذا النوع في قصيدة (لست أهواك) إذ يقول البردوني [٢٥]:

لستُ أهواكِ قـد خلعـتُ الهـــواءَ واحتقـــرتُ الفتــونَ والإغــراءَ

لستُ أهواكِ قد صحوتُ من الحبِّ ومزَّقـــتُ صبوتـــي والصّبــاءَ

لستُ أهــواكِ قــد نحـرتُ صبابــا تي كــما ينحرُ القنــوطُ الرجــاءَ

نلاحظ أن الأبيات السابقة اكتبست طاقة حجاجية كبيرة لوجود عامل النفي مكررا، فالقول المنفي (لست أهواك) نفي ميتالغوي غايته التكذيب، يشير إلى إثبات ضمني ويرد عليه، فهو يتضمن خبرا إثباتيا حاصلا في الواقع أو مفترضا مسندا إلى المخاطبة التي مازالت تدعي أن الشاعر يهواها، وتنكر تخلصه من هواها، فبادر بالرد عليها بنفي ذلك الإدعاء، فهو ينفي اعتقاد المخاطبة بأن يكون كلامها موافقا لحاله في الواقع، واستأنف الشاعر النفي بإتباعه

بإبطال المقتضيات وإلغائها، وذلك بإيراد جمل إثباتية مبدوءة بـ (قد) لتقوية جواب النفي وتأكيده. وتكمن حجاجية النفي في الأبيات السابقة في توجيه المتلقي إلى نتيجة واحدة مفادها تخلي الشاعر عن حبه وقدرته على التخلص من آثاره، وغايته من ذلك إقناع المخاطبة بشكل خاص والمتلقي بشكل عام بهذه النتيجة.

وهكذا نجد أن البردوني قد أبطل المقتضيات (ادعاء المحبوبة بأنه لم يزل يهواها) بطريق النفي، وأتبع أطروحته (لست أهواك) بحجج مؤكدة لها متدرجة في القوة، إذ جاءت الحجة الثالثة أقوى من الحجج السابقة لها؛ لأنها تتضمن قولا استعاريا جعلت الحب كائنا يذبح؛ مما يدل دلالة قاطعة على أن البردوني قد اقتلع جذور حبه من الأعماق، وانتهى إلى الأبد. وتدرجت الحجج المنفية على النحو الآتي:

ن : تخلي الشاعر عن حبه وتخلصه نهائيا منه

ح٣ : لست أهواك ـــ قد نحرت الحب

ح٢ : لست أهواك ـــــ قد صحوت من الحب

ح١ : لست أهواك ـــــــ قد خلعت الهوى .

وإذا كان البردوني في الأبيات السابقة قد أبطل ادعاء محبوبته بأنه لايزال يهواها بنفيه ذلك الإدعاء وتأكيد نهاية ذلك الحب في قلبه، فإنه في موضع آخر في قصيدة (نجوى) يعبر عن تعلقه الشديد بمحبوبته التي قابلته بالصد والهجران يقول[٢٦]:

وكمْ هزّني طيْفُها في الدُّجى وكمْ هزّ قِيثاريَ المُلْهَما

وكمْ ساجلتْني خيالاتُـــها كما ساجلَ المغرَمُ المغرما

فمـاعطفـتْ قلبَها رحمةٌ ولافكّرت آه أنْ تَرْحما

إن النفي الوارد في البيت الأخير أبطل المقتضى الذي يتوقعه المتلقي بناء على المقدمات التي أوردها الشاعر، إذ إن المتوقع جملة إثباتية تتضمن رأفة المحبوبة بالشاعر، لكن عامل النفي الذي أورده الشاعر بعد تلك المقدمات، أبطل ذلك المقتضى وألغاه تماما، فجاء النفي ردا على من يعتقد أن محبوبته قد رحمته وأشفقت عليه، فالمحبوبة ليست فقط لم ترحم الشاعر بل إنها في الواقع لم تفكر في ذلك، ولم يرد ذلك على بالها إطلاقا، وهذا النفي أحدث صدمة لدى المتلقي، إذ يتوقع المتلقي من المحبوبة أن تبادل الشاعر المشاعر نفسها لكنها قابلته بقسوة وشدة على الرغم من طرحه حججا تثبت صدق حبه ومشاعره أمام محبوبته بصيغة الغائب، تلك الحجج ـ التي من المفترض أن تصل بالمتلقي إلى نتيجة إيجابية ـ جعلها الشاعر مقدمة لنتيجة سلبية، ووضعها أمام محبوبته لإفحامها وإشعارها بالذنب الذي ارتكبته بحقه، ودفع المتلقي للتعاطف معه ومشاركته أحاسيسه ومشاعره.

ونجد النفي الميتالغوي في أبيات البردوني التي تقدح بشرر الثورة والمعارضة، إذ نراه في كثير من شعره داعيا للثورة ضد الظلم والطغيان، متحديا الهزيمة والانكسار، رافضا السقوط والانحدار، إذ يبرز دور عامل النفي الميتالغوي حين يبطل المقتضى المنجز أو المفترض، ويعلي من شأن الصفة المطروحة، ففي قصيدة (الحكم للشعب) يقول[٢٧]:

لن يستكينَ ولن يستسلمَ الوطنُ توثَّبَ الروحُ فيهِ وانتخى البدنُ

فالبيت يتضمن نفيا حجاجيا مكررا، إذ يشير إلى إثبات ضمني، ويرد عليه، فهو ينفي اعتقاد من يعتقد أن الوطن مستسلم خاضع لقوى الظلم والطغيان، ويبطل هذا المقتضى المفترض بإعلاء صفة المقاومة فيه وعدم الاستسلام والخضوع في أبناء وطنه؛ لأن الروح قد توثبت فيه واعتملت الحياة في جسده، وبهذا نجد أن عامل النفي قد شكل حجة توجه المتلقي نحو نتيجة ثابتة مفادها ثبات الوطن وصلابته في مواجهة أعدائه، غايته من ذلك توجيه المتلقي إلى العمل

على ذلك ورفض الانهزام، وإقناعه بصدق القضية التي يدافع عنها مرتبا حججه المنفية على النحو الآتي:

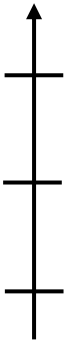

ن : ثبات الوطن وصلابته أمام الأعداء

ح٢ : لن يستسلم

ح١ : لن يستكين الوطن

ويرد البردوني على من يرى أن الجنوب قد استسلم وخضع للمستعمر بطريق النفي الميتالغوي بقوله في قصيدة (عيد الجلوس)[٢٨] :

لا، لمْ ينمْ ثأرُ الجنوبِ وجرحُهُ كالنّارِ يُبرقُ في القلوبِ ويُرعدُ

لا، لمْ ينمْ شعبٌ يحرّقُ صدْرَهُ جُرحٌ على لهبِ العذابِ مسهَّدُ

شعبٌ يريدُ ولاينالُ كأنَّهُ ممّايكابدُ في الجحيمِ مقيـــّـــدُ

فالشاعر في الأبيات السابقة استعمل النفي لإبطال مقتضى قول إثباتي مفترض مفاده أن شعب الجنوب قد نام، ونسي ثأره ، فأبطل الشاعر هذا المقتضى واعترض عليه باستعمال أداتين للنفي لتأكيد نفي ذلك المقتضى، معللا ذلك بأن جراح هذا الشعب لم تبرأ بعد، وعذاباته تزداد يوما بعد يوم، فهو يسعى للحرية والحياة الكريمة جاهدا، لكنه لايصل إليها بسهولة، فوجه النفي نحو نتيجة واحدة ضمنية مفادها استمرار مقاومة الجنوب، وعدم خضوعه واستسلامه، غايته من ذلك إقناع المتلقي وإقراره بتلك الحقيقة،وتوجيهه إلى التمسك بثورته وعدم التخلي عنها.

وفي قصيدة (حروب وادي عوف) يقول البردوني[٢٩]:

حكمةُ الحربِ أَنْ تَهُدَّ لتبني ليسَ غاياتُها أصابوا، أطاحوا

كم أرَقْنا مِنهُم ومِنّا أراقوا لااسترحْنا ولاالخصومُ استراحوا

ففي البيتين السابقين يقدم البردوني بطريق النفي الميتالغوي حجة مفادها أن الحرب ليست مجرد نصر وهزيمة، إذ أبطل النفي هذا المقتضى، وأبدلها بغاية أخرى للحرب، وهي أنها تهد كي تبني وتعمر من جديد، ومن ثم فإن الذي يعد الحرب مجرد تصفية حسابات، وتعداد خسائر لن يستريح، ولن يصل إلى هدف محدد أبدا.فالنفي لم يبطل المقتضى وحسب بل إنه أعلى من شأن هدف الحرب الحقيقي، ووجه المتلقي نحو التسليم بهذه النتيجة التي تضمنها النفي، والعمل على تغيير الواقع بتغيير الأهداف من الحروب.

ويقدم البردوني بطريق النفي الميتالغوي أيضا حجة مفادها أن الشهيد يظل حيا لايموت، فيرد على من يدعي موته وانتهاء أمره في (سباعية الغثيان الرابع) قائلا [٣٠]:

فلا ماتَ من ماتَ مثلَ البذورِ ولاعاشَ من ماتَ موتَ الحملْ

فالحجة الأولى : لايموت من مات مثل البذور، تتضمن نتيجة مفادها أن الشهيد حي يرزق؛ لأنه مات ليحيا غيره ويخلد وطنه شامخا، والحجة الثانية : ولاعاش من مات موت الحمل تتضمن نتيجة مفادها أن من مات في فراشه كالبعير لايبقى له ذكر وليس مخلدا، وهاتان الحجتان المنفيتان أبطلتا مقتضى مفترض يتضمن المساواة بين من مات شهيدا فداء للوطن ومن مات على فراشه، وأعلتا من شأن التضحية والشهادة في سبيل الوطن. ويمتلك النفي في البيت السابق طاقة حجاجية كبيرة؛ لأنه يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، أي أنه نفي للحدث في الزمن المطلق، كمايمتلك قوة تأثيرية في المتلقي، إذ وجه المتلقي نحو نتيجة واحدة مفادها أن الموت في سبيل الوطن فوز وخلود، وحثه على المبادرة من أجل الدفاع عن وطنه والاستشهاد في سبيل حريته وكرامته.

ويبرز البردوني الصلة الوثيقة بين الإيمان بالله وحب الوطن في شعره، فيبطل مقتضى القول المفترض المثبت بأن الإنسان قد يكون مؤمنا بالله ولايحب الوطن، إذ ينفي ذلك نفيا قاطعا، ويصحح ذلك الاعتقاد بقوله في ختام قصيدة (قافلة النقاء)[٣١]:

قُلتم كثيرًا، وماقُلتُم... أُكاشِفكُم: لايعرفُ اللهَ من لم يعشقِ الوطَنا

فالحجة المنفية (لايعرف الله من لم يعشق الوطنا) تتجه نحو نتيجة واحدة، وهي إقناع المتلقي بضياع إيمانه إذا أضاع وطنه، فحب الوطن من الإيمان، وتوجيهه نحو تعميق حبه لوطنه ودفاعه عنه.

٣. النفي الجدالي : وهو النفي الذي يعارض به المتكلم رأيا معاكسا لرأيه صاغه المخاطب صياغة إثباتية ولكن قد لايكون المخاطب المثبت موجودا فعلا، وإنما يبرز صوته في ضرب من المسرحة للقول[٣٢].

ونجد ذلك حين يخاطب البردوني عيد الثورة متبرئا منه مجسدا حجم المرارة والأسى الذي يعتريه بسبب إخفاق الثورة فيقول في قصيدة (لافتة على طريق العيد العاشر لثورة سبتمبر)[٣٣] :

أيُّها الآتي بلا وجهٍ إلينا لم تَعُدْ مِنَّا ولاضيفًا لدَيْنا

فالشاعر يفترض أن عيد الثورة يأتي مدعيا الانتصار حاملا الفرح والحب والألفة، فيخاطبه نافيا ذلك نفيا جداليا مستندا إلى الواقع، فيبطل ذلك الإدعاء بإثبات غربته عنا، وذلك لتوجيه المتلقي نحو نتيجة واحدة هي الإقناع بفشل الثورة وإخفاقها، وطلب التسليم بذلك، وغايته من ذلك شحذ الهمم لاستعادة بهاء الثورة ورونقها بتحقيق أهدافها الحقيقية التي قامت من أجلها. ويؤكد هذه النتيجة في قصائد كثيرة في شعره مستعملا عامل النفي نحو قوله في قصيدة (ذكريات شيخين)[٣٤]:

يا(عليُّ)انظُرْ ألاح المُنتَهى ؟ لاانتهى المسعى ولا السَّاعي نَجَحْ!

لم نَعُدْ نهنا ولانأسى، ذَوَتْ خضرةُ الأُنسِ، خَبَتْ نارُ التَّرَحْ

لم يَعُدْ شيءٌ كما نألَفُهُ فعلامَ الحُزنُ، أو فِيمَ الفَرَحُ؟

فالنفي في الأبيات السابقة قائم على الحوار الصريح، وهو رد على اعتقاد المخاطب بنجاح الثورة وأهدافها، فيبرز النفي مكررا كاشفا الحقيقة المؤلمة بفشل الثورة والثوار مبطلا ذلك الإدعاء، ولايكتفي البردوني بذلك بل إنه يؤكد هذه الحقيقة بحجج منفية متتابعة، وذلك لضمان تسليم المتلقي بأطروحته التي تتجه نحو نتيجة واحدة وهي إقناعه بسوء حالة الشعب بعد الثورة، وتوجيهه إلى رفض هذا الواقع والعمل على استكمال أهدافها.

ويلجأ البردوني إلى عامل النفي؛ ليجسد أثر التحولات الجذرية المؤلمة غير المتوقعة التي أصابت المجتمع اليمني بعد الثورة، فحدة هذه التحولات وقسوتها أفقدت الإنسان اليمني ملامحه وهويته، فيقول في قصيدة (الغزو من الداخل) [٣٥]:

يمانيُّون يا (أروى) ويا(سيف بن ذي يزن)

ولكِنَّا برغمِكما بلا يُمنٍ بلا يَمَنٍ

بلا ماضٍ بلا آتٍ بلا سرٍّ بلا علنٍ

فالحجج المنفية :نحن بلا يُمن...بلا يمن ... بلا ماض ... بلا آت...بلا سر ...بلا علن ، تعد ردا على من يعتقد أننا مازلنا نحمل أصالة اليمني التاريخية والمشهود لها عند الأمم، وتحمل هذه الحجج حقيقة مؤلمة ساهم حكامنا في بروزها، وهي انخفاض مكانة الإنسان اليمني بين الأمم. وتكرار النفي هنا عمل على توجيه المتلقي نحو نتيجة ضمنية مفادها ضياع هوية الإنسان اليمني، غايته من ذلك توجيه المتلقي إلى رفض هذا الواقع والعمل على استعادة هويته

المفقودة ومكانته التاريخية. ناهيك عن أثر (لكن) الحجاجي الذي وجه القول كله إلى مابعدها، والذي يعد منافيا ومضادا لما قبلها، كما أن لأسلوب المفارقة البارز في الأبيات أثره في إكسابها طاقة حجاجية تعارضية إضافة إلى قوة النفي.

ويوظف البردوني عامل النفي توظيفا حجاجيا في شعره لإقناع المتلقي بسمو ذاته ورفعتها، فتتوالى الحجج المنفية في قصيدة (هكذا أمضي) في قوله[٣٦]:

ألا فلتضقْ عني البلادُ فلم يضقْ طموحي وإنْ ضاقتْ رحابُ بلادي

ولاضـــاقَ صدري بالهمـــومِ لأنَّها بَنـــاتُ فؤادٍ فيه ألـفُ فـــؤادِ

ولاقهرتْ نفسي الخطوبُ وكمْ غدتْ تراوحُـني أهوالُـــها وتُغـــادي

ويقصد البردوني من استعماله عامل النفي هنا إلى الرد على من يدعي أنه ضعيف وأن الأهوال التي تعصف ببلاده لن يستطيع مواجهتها، فيبرز سمو ذاته بقدرته على الصبر والتحمل ومواجهة الخطوب والشدائد التي تعصف به وببلاده، ويؤكد أن ذاته أبعد ماتكون عن الخضوع والذل والاستسلام ،فمهما تكالبت عليه حوادث الدهر ونائباته، فإن ذلك لن يثنيه عن الوصول إلى غايته.

والبردوني حين ينفي هذه الصفات عنه يثبتها في سواه من المدعين، ويعرض تعريضا خفيا بهم، مؤكدا أنه لن يحيد أبدا عن غايته في الحياة، فيقول في القصيدة نفسها[٣٧]:

هو الصّبرُ زادي في المسيرِ لغايتي وإنْ عدتُ عنها فهو زادُ معادي

ولا، لمْ أعدْ عن غايتي، لمْ أعد ولمْ يُكفكفْ عنادُ العاصفاتِ عنادي

فَجُوري عليَّ ياحيـاةُ أوِ ارفُقي فلن أنثني عن وجهتي ومُرادي

فهو يضعنا أمام ذاته الفاعلة التي تحمل سلطة مطلقة في مواجهة جور الحياة، وتمتلك خيارا واحدا لاتحيد عنه، وغاية واحدة يسعى إليها مهما قابله من صعاب موظفا عامل النفي مكررا؛ وذلك لتوجيه المتلقي نحو نتيجة واحدة وهي إقناعه بإصالته وسمو ذاته، ودفعه للاحتذاء به بعدم الرضوخ والاستسلام.

ويؤكد الشاعر رفضه المطلق للضيم والذل والهوان بإعلان تبرئته من أجزاء جسده إن حاولت التمرد عليه والخروج عن طاعته، رادا بذلك على من يعتقد أنه قد يحيد عن الأهداف التي رسمها لنفسه، فيقول[٣٨] :

ولو أخَّرت رجلي خطاها قطعتُها وألقيتُ في كفِّ الرياحِ قيادي

فلامهجتي منّي إذا راعَها الشقا ولاالرأسُ منّي إنْ حنَتْه عوادي

ولاالروحُ مني إنْ تباكت وإنْ شكا فؤادي أساهُ فهو ليسَ فؤادي

٣. النفي الوصفي : وهو النفي الذي يكون تمثيلا لحالة الأشياء في الكون دون أن يقدمه قائله على أنه يعارض خطابا آخر، فهو يمثل إثباتا لمحتوى سالب دون إحالة على إثبات مناقض له[٣٩].

وقد برز النفي الوصفي في شعر البردوني في غير سياق التكذيب والإكذاب أو الرد على الرأي المعاكس، إذ تضمن مفهوم المخالفة الذي يعد حكما مستفادا على وجه الاستلزام من الكلام المنفي، ونجد ذلك في قول البردوني في قصيدة (كانوا رجالا)[٤٠]:

ننجرُّ لانمضي ولاننثني لانحنُ أيقـاظٌ ولانـوَّمُ

نغفـو بلانومٍ ونَصحو بلا صحوٍ، فلانَرنو ولانحلمُ

كم تضحكُ الدُّنيا وتبكي أَسَى ونحنُ لانبكي ولانبسمُ

فلم يعُدْ يُضحكُنا مُضحِكٌ ولَم تِعُـدْ آلامُنا تُؤلِـمُ

ففي الأبيات السابقة يبرز النفي بوصفه مقابلا لإثبات سابق مفترض، ليس الغرض منه دحض هذا الإثبات، وإنما التنبيه على حصوله لغيرهم، في مقابل نفيها عنه وعن شعبه، وذلك على النحو الآتي: لانمضي ولاننثني غيرنا يمضي وينثني

لاأيقاظ ولانوم غيرنا مستقر

فالغرض من النفي هنا المقابلة بين حالنا وحال غيرنا، وتنبيه المتلقي إلى الحياة التي يعيشها الإنسان اليمني والتي تختلف عن حياة الآخرين، وحمله على موافقته في مضمون النفي، ومن ثم توجيهه إلى رفض هذا الواقع، والثورة عليه لتحقيق حياة أفضل. وإذا كان الشاعر بعد الثورة شديد الحماس لتحقيق جميع أهدافها كما كان يحلم، فإننا نجده ينكفىء على نفسه ألما وحسرة وحزنا لعدم تحقيق ماكان يطمح لأجله، يقول في قصيدة (في الجراح)[٤١] :

أحيا كعصفورِ الخريفِ بلا ريشٍ، بلا عشٍ، بلا فَنَـنِ

وأتيهُ كالطَّيفِ الشَّريدِ بـلا ماضٍ، بلا آتٍ ، بلا زمنِ

وتكمن حجاجية النفي هنا في إعلان الشاعر المخالفة تمهيدا لتفسير إطروحته، فالحجج المنفية هنا جاءت متدرجة من الأضعف مدلولا إلى الحجة الأقوى مدلولا؛ لتؤول بمجملها إلى نتيجة واحدة تتضمن غربة البردوني وإحساسه بالضياع؛ وذلك بهدف إقناع المتلقي بغرابة حياته ومشاركته انفعالاته بالتسليم بصدق تجربته، فالشاعر سلب الأشياء خصائصها للتعبير عن غربته وإحساسه بالضياع في عالم مليء بالتناقضات، انهارت معه أحلامه وطموحاته.

ويتخذ البردوني من النفي الوصفي وسيلة لغوية حجاجية للتعبير عن اعتقاده تجاه قضية ما، فيعكس رؤيته الفلسفية للحياة، ويبرز موقفه الرافض للواقع المأساوي الذي يعيشه، وللممارسات القمعية التي يواجهها، وللهوية التي باتت بلا ملامح، وللحياة التي التهمت آماله وأحلامه، أي أن النفي الوصفي في شعر البردوني يعكس الحالة النفسية له، ويبرز صدق القضية التي يعبر عنها ففي قصيدة (أنا) يقول[٤٢] :

لاالموتُ يختصرُ الحيا ةَ ولاانتهى طولُ البقـــا

لاالقيدُ مزّقــه السجيــ نُ ولا السجينُ تمزّقـــــا

إن حجاجية النفي في الأبيات السابقة تكمن في إعلان الشاعر مخالفته لغيره، عاكسا بذلك الحالة النفسية السيئة له التي وصلت إلى حد تمني الموت لعجزه عن نيل حريته وتحقيق أحلامه بسبب قساوة حياته ومرارتها، كما تكمن في توجيه المتلقي نحو نتيجة ضمنية مفادها قساوة معاناته واستمرارها، غايته من ذلك إقناع المتلقي بصدق معاناته، ودفعه لمشاركته أحاسيسه وانفعالاته. وتتدرج الحجج المنفية على النحو الآتي:

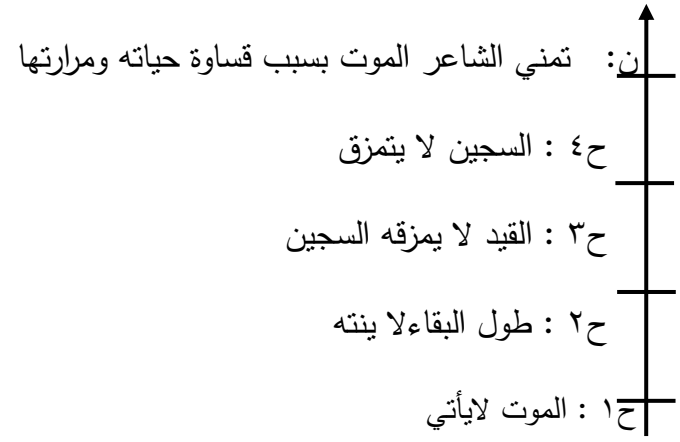

جواب النفي :

يرى د. شكري المبخوت أن للمتكلم قصدا لاقوليا أو قصدا انعكاسيا من كلامه، ومفاد هذا المقصد هو " أن يدرك الشخص الذي يسمعه أن المتكلم يريد منه قبول دور السامع، فيكون المتلقي المقصود لمراد المتكلم، فيستجيب لذلك المراد"[٤٣].

وإذا كان القصد الانعكاسي للمتكلم المثبت هو حمل المخاطب على الاعتقاد في القضية وبالاقتضاء في صدقها، فإن القصد الانعكاسي للمتكلم النافي لايكفي أن يكون مراده حمل المخاطب على عدم الاعتقاد في القضية، فماينبغي مراعاته هنا هو" أن المتكلم يردد في جانب من نفيه كلام المخاطب المثبت، وإذا كان المخاطب المثبت يعتقد في (ض) وله أسباب ودواع تجعله يصدق بها، فليس من اليسير بمجرد ترديد كلامه ونفيه أن يحمل على تغيير اعتقاده"[٤٤] فأقصى مايمكن أن ينتج عنه هو الشك في المضمون القضوي للقول، وليس الشك يساوي عدم الاعتقاد؛ ولذلك فإن أبسط مايستلزمه الشك المتولد من النفي هو تقديم الأدلة وعرض الأسباب، وهذا يتجاوز بنية النفي، ويقع في بعض مايستلزمه النفي من ترابط مقالي[٤٥].أي أنه يقع في جواب النفي الذي يقدم الأدلة، ويعرض الأسباب.

ونخلص مما سبق إلى أن النفي قد يحتاج إلى تفسير، وتفسير النفي هو الجملة التالية له إذا كانت متعلقة بوجه من الوجوه بغرض الحديث في الجملة المنفية، وهذه الجملة تسمى جواب النفي، والمقصود بجواب النفي هو مايعقب به بعض المتكلمين جمل النفي التي ينجزونها، فتكون مباشرة بعد النفي، ويتوقف تحديد القصد من الجملة المنفية عليه، والعلاقة بين النفي وجوابه لاتقوم على رابط لفظي، وإنما ترتكز على الربط المعنوي في الخطاب.ومن أمثلة جواب النفي:

لم يأت زيد أمس بل أتى اليوم

ليس ملك فرنسا أصلع فهو غير موجود

ماهذا بشر إن هذا إلا ملك كريم

فما يجمع بين هذه الجمل أنها جميعا استؤنفت على نحو ما إما بالإضراب، وإيراد التعبير الإثباتي المعادل للتعبير المنفي، وإما بالتفسير الذي يعلل وجه النفي، وإما بالتخصيص من خلال أسلوب القصر لتأكيد النفي من جهة وإبداله من جهة ثانية، وبيان المقصود من جهة ثالثة[٤٦]. فالجملة المستأنفة ترتبط من وجوه مختلفة بالجملة المنفية.

وجواب النفي يقع حين ينفي المتكلم إثباتا سابقا، فيتصور أن السامع سيسأله عن سبب هذا النفي أوبديله عما نفاه، أو يتصور أنه سينكر عليه نفيه، وما إلى ذلك من الاحتمالات الممكنة، فيغنيه عن طرح السؤال بإيراد الجواب، وذلك على النحو الآتي[٤٧]:

لم يأت زيد أمس	إذن متى أتى؟	أتى اليوم
ليس ملك فرنسا أصلع	لم نفيت ذلك	هو غير موجود
ماهذا بشرا؟	إذن ماهو ؟	إن هذا إلا ملك كريم

ومما يجدر الإشارة إليه هنا هو أن موقف المتلكم النافي واعتقاده يبرز في جواب النفي، ولايبرز في الكلام المنفي، ولهذا أسباب تعود إلى شدة اتصال جملة النفي بمقتضاها الإثباتي من جهة، وبماتستلزمه من جوابها من جهة أخرى[٤٨].

ويعد الإضراب والاستدراك من أكثر المعاني المرشحة لجواب النفي بحكم مافيهما من دلالة تقتضي تعامل النفي والإثبات، فدلالة الإضراب في قضية الحال تعني تقرير الأول، والأول منفي، وإثبات ضده للثاني، والثاني مثبت عادة[٤٩].

وفي شعر البردوني تبرز (بل ، ولكن) في جواب النفي في بعض من قصائده نحو قوله في قصيدة (ثوار والذين كانوا)[٥٠] :

حكمتمُ الشعبَ، نحن الشعب يحكمُنا حُبّا، ونُعليهِ فوقَ الأمرِ أمّارا

ولانُداجيهِ كي يختار سلطتَنا بل نبتغي أن يكونَ الشعبُ مختارا

ويقول البردوني في القصيدة نفسها [٥١]:

أعن تقدُّمِكُمْ تُبْتم ؟ نُطمئنُكم بأنَّكم ماقطعتُم فيه أشبارا

بل قيلَ لم تدخلوه أو رأى لكمُ على الطريقِ إلى مجراهُ آثارا

فالبردوني هنا يعلن عن مخالفته لاعتقاد المخاطب، فيردد كلاما مثبتا سبق أن قيل بنفيه(لانداجيه ـ ماقطعتم فيه أشبارا) قاصدا من ذلك أن يتخلى المخاطب عن اعتقاده، ويعتقد بصدق الأطروحة التي وردت في جواب النفي، إذا أبطل المداجاة عندما نفاها عن الشعب، وأثبت أن السلطة بيد الشعب لابيد غيره، وأبطل الاعتقاد بأن الحكام يمضون بالبلاد نحو التقدم والرقي بنفي ذلك الاعتقاد، ولم يكتفِ بالنفي فقط؛ لأن ذلك ليس كافيا لأن يتخلى المخاطب عن اعتقاده بل إنه أتبع النفي بالجواب بجملة الإضراب ب(بل) التي ربطت بين حجتين متعارضتين، ونقلت الحجاج من درجة دنيا إلى درجة أعلى في السلم الحجاجي، ووجهت المتلقي نحو التسليم والإقرار بالحجة الواردة بعدها.

وفي قصيدة (نحن أعداؤنا) يقول [٥٢]:

وليسَ عِدانا وراءَ الحُدود ولكنْ عِدانا وراءَ الضُّلوعْ

فالجملة المنفية في البيت السابق تعد ردا على اعتقاد في وجود العدا وراء الحدود بنفي ذلك نفيا جداليا قائما على التصحيح، ولأن غاية الشاعر موافقة المخاطب له في مخالفته للكلام المثبت المقول حقا، أو المفترض قوله، استأنف الجملة المنفية بجملة استدراكية وجهت المتلقي نحوها بحيث بدت أقوى حجاجيا من الجملة السابقة لها، فالبردوني هنا لايريد إبطال الجملة السابقة بقدر مايريد الانتقال من درجة دنيا درجة أعلى وأقوى حجاجيا.

وتتصدر(لكن) جواب النفي في قصيدة (زحف العروبة)في قول البردوني عن الحكام الطغاة[٥٣]:

لم يحسبوا للشعبِ لكنْ عندَهُ للعابثينَ بهِ أشدُّ حسابِ

فالنفي هنا يعد ردا على من يعتقد أن الحكام الطغاة يعملون حسابا لشعوبهم، فيصحح لهم البردوني هذا الاعتقاد بنفيه نفيا جداليا، ويستأنف هذا النفي بجملة استدراكية توجه القول نحوها مؤكدة أن الاستخفاف بالشعوب واحتقارها تودي بالحكام إلى الزوال، فمصيرهم بيد الشعب لابيد غيره.

ومن خلال الأمثلة السابقة نجد أن العلاقة بين النفي وجوابه علاقة توكيدية، إذ إن (بل) و(لكن) لم تبطلا دلالة الجملة المنفية، بل عملتا على تأكيدها وإقرارها.

ولايقتصر جواب النفي على الاستدراك والإضراب، إذ يتضمن كذلك التعليل الذي يفسر وجه النفي ، فالنفي " يحتاج إلى تعليل أكثر من حاجة الإثبات إليه، فالسؤال الذي يعقب به على النفي، إن لم يسارع المتكلم النافي إلى تعليل نفيه فهو قرينة على المخالفة وطلب للانتقال من إبهام النفي إلى تفسيره، بما يجعل في اعتقاد المتكلم النافي مضمونا إيجابيا"[٥٤]. والحجاج الناجع

هو " مايفترض أو يتوقع حجاجا مضادا، فيسعى إلى سد المنافذ أمامه، ويجيب عن كل سؤال قد يطرحه المتلقي"[٥٥].

ولايكتفي البردوني في بعض قصائده من نفي القول لغويا فقط، بل يعمل على تدعيم هذا النفي منطقيا ، فيأتي بالدليل على صدقه؛ ليؤكده، أو يبرره.

وتبرز العلاقة التفسيرية البيانية بين النفي وجوابه في قول البردوني في قصيدة (المحتربون)[٥٦]:

فلافرق بين الحربِ والحُبِّ لاالقا يسلِّي كماقالوا ولاالبعدُ واحشُ

لأنَّ التعادي اليومَ حَمَّالُ أوجهٍ إذا نامَ فيه فاحشٌ قامَ فاحشٌ

فالبردوني يرد على من يعتقد بوجود فرق بين الحرب والحب وبين اللقاء والبعد بنفي ذلك الاعتقاد، وكي يحمل المخاطب على موافقته في ذلك الاعتقاد أتبع نفيه بالتعليل بأن العداء اليوم لم تعد له صورة واحدة ، فقد صار متعدد الوجوه والأقنعة، وذلك كي يقنع المتلقي بصدق القضية المطروحة، فيسلم بها دون شك.

ويجسد النفي الحالة الشعورية التي تعتري البردوني، ويبرز جوابه تفسيرا لتلك الحالة، إذ يقول في (آخر الموت)[٥٧]:

ليسَ بيني وبينَ شيءٍ قرابَةْ عالمي غربةٌ، زماني غرابةْ

لم يَعدْ للَّقاحِ أيُّ اشتهاءٍ قطراتُ النّدى غدَتْ مُسترابةْ

فالبردوني هنا يرد على من يعتقد أنه يعيش في عالم تشيع فيه الألفة والمحبة والقيم الفاضلة راميا إلى استئصال هذا الاعتقاد واستبداله بتثبيت اعتقاد سالب، مفسرا إياه بتغير الواقع إلى الأسوأ، هادفا من ذلك إلى إقناع المتلقي بغرابة الواقع وانقطاع الصلة بينهما.

وقد يعبر النفي عن حكم منطقي مستخلص من حسابات البردوني المنطقية الذي يطلق الحكم بناء على قراءته للأحداث وللواقع ومجرياته، ولايكتفي بذلك فقط بل يتبعه بتفسير أو تبرير كما في قوله في قصيدة (نحن أعداؤنا)[٥٨] :

وصَلنا هنا لانُطيقُ المُضِيَّ أَمامًا ولانستطيعُ الرُّجوعْ!

فلَمْ يبقَ فينا لماضٍ هوىً ولمْ يبقَ فينا لآتٍ نُزُوعْ

فالبردوني هنا يثبت بطريق النفي الوصفي محتوى سالب دون إحالة على إثبات مناقض له، فيقرر حكما بأن شعبه قد علق في متاهة الحاضر فلاهو يستطيع التقدم أماما، ولايستطيع الرجوع إلى الماضي ، ويبرر ذلك بنفي آخر بأن هذا الشعب قد استنفد قواه وخارت آماله واستسلم لواقعه، فلم يعد يحن للماضي، ولم يعد يحلم بأي مستقبل، هادفا من وراء ذلك إلى تسليم المتلقي وإقناعه بأطروحته.

وتبرز علاقة التخصيص في جواب النفي من خلال أسلوب القصر الذي يؤكد النفي من جهة ويبدله من جهة ثانية، ويبين المقصود منه من جهة ثالثة،" فإذا كان الإثبات بناء مخصصا للعلاقات بين مكوناته فإن النفي تكذيب لهذا التخصيص يمهد لاستقباله بتخصيص جديد، وهذا التخصيص الجديد يسجل أمارة دالة على التخصيص الأول وأخرى دالة على إكذابه، وهذا الترابط هو الذي يفسر العلاقة بين الإثبات والنفي باعتباره ردا وترديدا لإثبات سابق وتركيب القصر باعتباره ردا على إثبات سابق وتخصيصا جديدا ، وهو مايصوره التلازم التالي في :

زيد كاتب ← مازيد كاتب ← مازيد إلا شاعر

وهذه العلاقات التلازمية تمثل دور النفي في إلغاء التخصيص الأول تمهيدا لتخصيص جديد؛ لذلك فإن تركيب القصر يمثل دائما بنية تأليفية تحلل إلى إثبات ونفي أماتركيب النفي فيمثل

بنية ترديدية تشير إلى بنية الإثبات، وهي بنية تحتمل إثباتا جديدا يوضح السبب الذي لأجله وجد النفي، وهذه البنية هي التي تبرز في جواب النفي"[٥٩].

إن دخول صرافيم من قبيل (ما....إلا) أو (ليس....إلا) على ملفوظ مثل (زيد كاتب) من شأنها أن تخرجه من الإبلاغية، أي مستوى الوصف والإبلاغ إلى الحجاجية، حيث تكون العوامل المذكورة موجهة لبقية الخطاب نحو نتيجة بعينها، وعلاوة على التوجيه، نجدها تعمل على التضييق من مدى الغموض، وتعدد المعاني والاستلزامات[٦٠].

فالقصر يكون ردا على كلام سابق، يدحض به المتكلم موقفا مغايرا للمخاطب، أو مجموعة من المواقف المتغايرة في آن واحد لأكثر من مخاطب، ويثبت المعنى المراد تأكيده تأكيدا يقطع شك المخاطب ويزيله نهائيا.

ولايعتمد أسلوب القصر على النفي والإثبات فحسب، بل على الحذف أيضا " فليس كل ماهو مراد يكون حاضرا في الأسلوب، حيث يحذف من الكلام ماهو مخالف لموقف المتكلم دلالة على تجاهله أو لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم"[٦١].

ودلالة جواب النفي بطريق القصر تكمن في إقرار الجملة المنفية السابقة وتثبيتها وتحقيق البديل العهدي للمكون الذي يتسلط عليه النفي، فالجواب المثبت يستجيب لحاجة المتخاطبين إلى تخصيص جديد يبطل التخصيص السابق[٦٢].

ومن أساليب القصر الواردة في شعر البردوني قوله في قصيدة (مع الحياة) [٦٣]:

فرأيتَ الحياةَ لم تُصفْ إلا لعبيدِ الحُطامِ والذلِّ والدمْ

أيُهذي الحياةُ ماأنتِ إلاّ أملٌ في جوانحِ اليأسِ مُبهَمْ

فالتقدير في البيت الأول : لم تصف الحياة لأحد إلا لعبيد الحطام والذل والدم.

وفي البيت الأخير يكون التقدير : ماأنت شيء إلا أمل.

ويقول في قصيدة (مدرسة الحياة)[٦٤]:

والمرءُ لاتُشقيهِ إلا نفسُهُ حاشا الحياةَ بأنَّها تشقيهِ

وتقدير أسلوب القصر هنا : المرء لايشقيه شيء إلا نفسه.

ويقول في قصيدة (أخي ياشباب الفدا في الجنوب) [٦٥]:

ومالحُرُّ إلاّ المضحّي الذي إذا آن يومُ الفدا يفتدي

والتقدير هنا : ماالحر أي أحد إلا المضحي.

ويقول في قصيدة (فجر النبوة)[٦٦]:

لاتُسكتُ الأوغادَ إلا وثبةٌ ناريةٌ غضبى على الأوغادِ

والتقدير هنا : لايسكت الأوغاد أي شيء إلا وثبة نارية.

نلاحظ أن إيراد الحجج السابقة بأسلوب القصر أكسبها طاقة حجاجية كبيرة ، ويدل على أن المخاطب يشك في تلك القضايا التي طرحها البردوني، ويحمل رأيا مخالفا لها، وهذا الأسلوب أقوى من الجمل الإثباتية؛ لأنه أكد الكلام تأكيدا حاسما يقطع شك المتلقي، ويدحض القول المخالف له، موجها الكلام نحو نتيجة واحدة لاغير، فلايكون أمامه إلا التسليم بها وإقرارها، ونلاحظ أن أساليب القصر في الأبيات السابقة اعتمدت على الحذف؛ كي لاتقتصر على دحض رأي واحد بل مجموعة آراء متغايرة تخالف رأي البردوني.

ونخلص مما سبق إلى أن أساليب القصر تتسم بطابع حجاجي؛ لأنها تفيد معنى ننفي أطروحتكم، وندحض ماتدعون، كما تتسم بعلاقة تلازمية بين النفي وجوابه، حيث يعمل النفي على رد اعتقاد بمضمون الأطروحات وإلغائها تمهيدا لتخصيص جديد يضيق النتائج أمام المتلقي، ويضعه أمام نتيجة واحدة مقصودة واستلزام واحد، فتقوده إلى التسليم بها وإقرارها.

خاتمة:

حفل ديوان البردوني بالعوامل الحجاجية التي كان أبرزها عامل النفي الذي شكل ملمحا أسلوبيا في شعره ، واكتسب طابعا حجاجيا كونه يعمل على تحويل المعنى المثبت في ذهن المتلقي إلى ضده، إذ لجأ إليه الشاعر للتعبير عن مواقفه ورؤيته تجاه الواقع والحياة، وعكس موقفه الرافض لواقعه البائس واعتراضه على ماهو كائن.واتسم النفي بالحجاج كونه يدل على تعدد الأصوات، إذ يشير إلى إثبات ضمني بافتراض مخاطب متخيل أو حقيقي يتبنى جانب الإثبات، في حين يتبنى البردوني جانب النفي في عملية حجاجية قائمة على آليتي الإدعاء والاعتراض، يهدف من خلالها إلى توجيه المتلقي الوجهة التي يقصدها، وطلب تسليمه بمايعتقده واستدعاء موافقته، أو يقصد من ذلك تغيير سلوكه ومواقفه وأحكامه وحمله على الإتيان بأفعال جديدة تغير الواقع وتعبر عن رفضه وعدم الاستسلام له، أوقد تكون ذات بعد نفسي تأثيري تحمل المتلقي على مشاركة الشاعر أحاسيسه وانفعالاته وهمومه. وفي كل ذلك نجد البردوني يكتسح المتلقي نافذا إليه بكل سهولة ويسر؛ لأنه لامس أوجاعه وأحزانه، وعبر عن واقعه المزري الذي يعيشه، فكان قريبا منه يجره بلطف وسهولة إلى موافقته، فيسير خلفه مرددا كلماته، مستدلا بأبياته ، متمثلا بحكمه.

الهوامش

[1] . الناجح : عز الدين : العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ط١ ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ٢٠١١ ، ص ٣٠ ، ص ٣١

[2] . المرجع نفسه ص ٣٠

[3] . المرجع نفسه ص ٣١

[4] . أعراب . حبيب : الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج١ ص ٦٣١

[5] . المبخوت . شكري : نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج ص ٣٧٦ ، ٣٧٧

[6] . الناجح عز الدين : العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص ٢٣

[7] . المرجع نفسه ص ٢١

[8] . الراضي . رشيد : الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج١ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧

[9] . أزاييط . بنعيسى : البعد التداولي في الحجاج اللساني ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج٢ ص ٢٥٤

[10] . الناجح . عز الدين : العامل الحجاجي والموضع ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج ١ ص ٣٠٩

[11] . الناجح . عزالدين : العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص ٣٥

[12] . الناجح . عزالدين :العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص ١٦

[13] . المرجع نفسه ص ٤٧

[14] . الناجح . عزالدين :العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص ٤٩ ، ٥٠

[15] . المرجع نفسه ص ٥٠ ، ٥١

[16] . ابن يعيش . موفق الدين : شرح المفصل ج٨ ص ١٠٧ عالم الكتب ، د. ت

[١٧] . المبخوت . شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ص ٨٣

[١٨] . فضل . صلاح : بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٩٤

[١٩] . المبخوت . شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ص ٨٢

[٢٠] . المرجع نفسه ص ٢٠٦

[٢١] . المرجع نفسه ص ١٨١

[٢٢] . المبخوت. شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ص ١٩٨

[٢٣] . المبخوت. شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية : ص ٢٤٤

[٢٤] . المرجع نفسه : ص ٢٤٤

[٢٥] . ديوان البردوني ج١ ص ١٤٥ ، ١٤٦

[٢٦] . ديوان البردوني ج١ ص ١٣١

[٢٧] . ديوان البردوني ج١ ص ٣٦٥

[٢٨] . ديوان البردوني ج١ ص٢٤٧ ، ٢٤٨

[٢٩] . ديوان البردوني ج٢ ص ١٠٧٨، ١٠٧٩

[٣٠] . المصدر نفسه ج٢ ص ٨٢٩

[٣١] . ديوان البردوني ج٢ ص ١٥٦٧

[٣٢] . المبخوت. شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ص ٢٤٤

[٣٣] . ديوان البردوني ج ١ ص ٦٠٣

[٣٤] . ديوان البردوني ج ١ ص ٤٩٧

[٣٥] . ديوان البردوني ج١ ص ٦٥١

[٣٦] . المصدر نفسه ج١ ص ٢٦٢

[٣٧] . ديوان البردوني ج ١ ص ٢٦٣

[٣٨] . المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٣

[٣٩] . المبخوت . شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ص ٢٤١، ص ٢٤٤

[٤٠] . ديوان البردوني ج٢ ص ٦٠٩

[٤١] . المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٧

[٤٢] . ديوان البردوني ج١ ص ١٣٦

[٤٣] . المبخوت . شكري : إنشاء النفي وشوطه النحوية والدلالية ص ١٧٦

[٤٤] . المرجع نفسه ص ١٧٦

[٤٥] . المرجع نفسه ص ١٨١ ، ١٨٢

[٤٦] . المبخوت . شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ص ٤٢٣

[٤٧] . المرجع نفسه ص ٤٢٤

[٤٨] . المرجع نفسه ص ١٩٩

[٤٩] . المبخوت . شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ص ٤٥٨

[٥٠] . ديوان البردوني ج٢ ص ١٣٦٧

[٥١] . المصدر نفسه ج٢ ص ١٣٦٧

[٥٢] . ديوان البردوني ج١ ص ٥٢٥

[٥٣] . المصدر نفسه ج١ ص ٢٥٦

[٥٤] . المبخوت . شكري : إنشاء النفي ص ١٩٦

[٥٥] . الدريدي . سامية : دراسات في الحجاج قراءة نصوص مختارة من الأدب العربي القديم ص ٤٦

[٥٦] . ديوان البردوني ج٢ ص ١٤٨٣

[٥٧] . المصدر نفسه ج٢ ص ٨٤٤، ٨٤٥

[٥٨] . المصدر نفسه ج١ ص ٥٢٦

[٥٩] . المبخوت . شكري: إنشاء النفي ص ٢٠٤

[٦٠] . الناجح . عزالدين: العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص ٦١

[٦١] . الهبيل . عبدالرحيم: تجليات الجمال في أسلوب القصر، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد التاسع عشر ، العدد الثاني ، يونيو ٢٠١١ ص ٩٧٨

[٦٢] . المبخوت شكري : إنشاء النفي ص ٤٥٩ ، ص ٤٦٢

[٦٣] . ديوان البردوني ج١ ص ١٣٨

[٦٤] . المصدر نفسه ج١ ص ١٨١

[٦٥] . ديوان البردوني ج١ ص ١٩٣

[٦٦] . المصدر نفسه ج١ ص ١٥٢